

أضواء البيان

@ 467 @ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا

مَصْفًا * لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا } . .

ومن هذا الحديث عن ابن عباس وعن علي . وساق هذا الثاني ابن كثير عن ابن جرير بسنده إلى علي بن الحسين أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (إذا كان يوم القيامة مد الأرض مد الأديم ، حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ، فأكون أول من يدعى) الحديث . .

وعن ابن عباس (تمد كما يمد الأديم العكاطي) . .

وعند القرطبي عن ابن عباس (يزداد فيها كذا وكذا) . .

وقال الرازي : هو بمعنى تبدل الأرض غير الأرض ، والواقع أن استبدال الأرض غير الأرض ليس على معنى الذهاب بهذه الموجودة والإتيان بأرض جديدة ، لما جاء في حديث الأذان : (ما من حجر ولا مدر ولا شجر ، يسمع صوت المؤذن إلا يشهد له يوم القيامة) والذي يؤتى له من جديد ، لا يتأتى له أن يشهد على شيء لم يشهده ، وعلى كل فإن تسيير الجبال وتسوية الأرض لا شك أنه يوجد زيادة في وجه الأرض ومساحتها ، فسواء مدت بكذا وكذا . كما قال ابن عباس ، أو مدت بتوسعة أديمها وزيد في بسطها ، بعد أن تلقى ما في جوفها كالشيء السميكة إذا ما ضغط ، فخفت سماكته وزادت مساحته ، كما يشير إليه قوله تعالى : { كَلَّا - إِذَا دُكِّتِ الْأَرْضُ رُضًا دَكًّا دَكًّا } . .

وقوله : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ } . .

فيكون مد الأرض بسبب دكها ، فيزداد في بسطها ، ولعل هذا الوجه هو ما يشهد له القرآن لجمع الأمرين هنا ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء ، فهو وفق ما في هذه السورة { إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ° } ، وبعدها { وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ° } وإلا أعلم . { وَأَلْقَتْ مَآفِيهَا وَتَخَلَّتْ ° } .